

ابن ناصر بن شهرة رمز المقاومة الشعبية في الجنوب

الشرقي الجزائري ١٨٥٠-١٨٧٥

أ. عيسى بوقرين
جامعة عمار ثليجي بالأغواط

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى إمطة اللثام عن شخصيات المقاومة في الجنوب الجزائري وبالأخص في منطقة الجنوب الشرقي التي عرفت قيادة جماعية للمقاومة استمرت ربع قرن من الزمن من سنة 1850 وإلى غاية سنة 1875 وفي رقعة جغرافية واسعة امتدت حتى خارج التراب الوطني خاصة على الحدود مع تونس، هذا البحث يكشف عن أحد قادة المقاومة في تلك المنطقة، والذي دعت المصادر الفرنسية بملاح الصحراء ووصفته بشقى النعوت كالعدو الذي لا يلين، ويسميه الدكتور ابو القاسم سعد الله رحمه الله بشيخ المقاومين وذلك بسبب نزوله عن صهوة جواده وهو في سن السبعين، استطاع من خلال مسيرة بدأها مع الأمير عبد القادر منذ نهاية الثلاثينات من القرن التاسع عشر وأنهاها من تونس إلى الشام سنة 1875 استطاع أن يعرقل لفترة زمنية طويلة زحف الفرنسيين على الصحراء الجزائرية الكبرى.

الكلمات المفتاحية: ابن ناصر بن شهرة، الصحراء، الأغواط، الأرباع، الشريف محمد بن عبد الله، ورقلة، سي حمزة،

Abstract :

This research aims at revealing the personalities of the resistance in the south of Algeria, especially in the south-east, which was known as the collective leadership of the resistance for a quarter of a century from 1850 until 1875 and in a wide geographical area that extended even outside the national territory, , This research reveals one of the leaders of the resistance in that region, who

was nicknamed by the French sources the sailor of the desert and described him with various denominations as the enemy that does not soften, and Dr. Abu Qasim Saad Allah, may Allah have mercy on him, called him the elder of the fighters and that because he got off his horse at the age of Seventy, managed through a process initiated with Prince Abdul Kader- Since the end of the thirties of the nineteenth century and the end of exile from Tunisia to Syria in 1875 he was able to impede for a long time the march of the French on the Sahara.

مقدمة:

كان لظهور شخصية ابن ناصر بن شهرة على مسرح الأحداث خلال فترة الخمسينات أثره البالغ على حركة المقاومة الشعبية في الصحراء الجزائرية بشكل عام وخاصة في منطقة الجنوب الشرقي بشكل خاص، بعد تحالفه مع شريف ورقلة محمد بن عبد الله وقيادتهما لمقاومة استمرت فترة طويلة من الزمن، ومشاركته في كل المقاومات في تلك الفترة خاصة مع أولاد سيدي الشيخ 1864، ومع الشريف بوشوشة سنة 18969، ثم في ثورة المقراني سنة 1871، فمن هي هذه الشخصية؟ وما هي أبرز الأدوار التي لعبها؟ وهل انضمامه للمقاومة يعد فعلا إضافة حقيقية لمنع الزحف الاستعماري نحو الجنوب؟.

يهدف هذا البحث إلى استكمال كتابة تاريخ المقاومة الشعبية في الجزائر خلال القرن التاسع عشر، من خلال الكشف عن شخصية محورية لعبت دورا كبيرا في المقاومة في منطقة الجنوب الشرقي، هو ابن ناصر بن شهرة الذي خاض مقاومة فاقت الربع قرن وامتدت إلى مناطق واسعة داخل الوطن وحتى خارجه.

1/ شخصية ابن ناصر بن شهرة:

هو ابن ناصر واسم أبيه ابن شهرة ابن فرحات¹، ولد سنة 1804 بضواحي الأغواط، ينحدر من فرقة أولاد سي عيسى من عرش المعامرة المنتمية بدورها إلى قبيلة الأرباع الكبرى التي تسكن تلك المضارب، وهو من عائلة توارثت المجد والقيادة، وقد تربى في وسط يتفخر فيه الناس بالشهامة والبطولة والفروسية، فنشأ فارسا شجاعا واشتهر جده فرحات بالشجاعة والكرم مما أهله لأن يكون قائدا على قبائل الأرباع كلها².

وقد ورث هذه السيادة أيضا حفيده ابن ناصر، وهو أيضا شخصية مرموقة، حفظ القرآن الكريم منذ صغر سنه على عادة أهله، وتعلم مبادئ الفقه على يد مشايخ الطريقة القادرية ومن أبرزهم الشيخ أحمد الشاوي بالأغواط، وبذلك كله اكتسب قدرات كبيرة جعلته قائدا وفارسا مغوارا، وارتقى عرش السيادة بدوره على قبائل الأرباع سنة 1846³.

تعتبر قبائل الأرباع إحدى أكبر القبائل في الصحراء في ذلك الوقت والتي كانت ترحل نحو المناطق التلية في فصل الصيف قصد تبادل المنتجات المختلفة مع مختلف القبائل الأخرى والتزود بالقمح⁴، وحينها كان الأمن مفقودا في الطرق التجارية تلك، لذلك لا يقدر على التنقل إلا من كان شجاعا ويستطيع الدفاع عن الأهل والأموال والماشية، وكان هذا بالنسبة لابن ناصر مدرسة الحياة الحقيقية في تعلم شؤون القيادة السياسية والاجتماعية والحربية، ولما كان هذا نسبه ودأبه كان مطمح مصاهرة من قبل قادة ومشايخ المنطقة، وبخاصة الذين عرفوه عن قرب ومنهم أحمد بن سالم شيخ الأغواط⁵، الذي أراد بمصاهرته تقوية صفه ضد أعدائه من المنافسين له على سلطان الحكم، لذلك كان هذا أول زواج له حيث أنجب بنتا، ولما اصطدم بالنفوذ الفرنسي في المنطقة ورفض الخضوع له طلب من زوجته أن ترحل معه إلى أعماق الصحراء للهجرة والجهاد، فلما رفضت طلقها، وتوفيت ابنته منها بعد ذلك⁶.

وقد تزوج ثانياة الياقوت بنت محمد بن عبد الله شريف ورقلة عندما تحالف معه على الجهاد في الصحراء منذ سنة 1851، وقد أنجبت له ولدين الأول يدعى محمد والثاني يدعى بن شهرة على اسم جده⁷، وبعد وفاة زوجته الياقوت تزوج مرة ثالثة بالمرابطة " نوة " أخت السيد مولاي عبد القادر الإدريسي من أولاد سيدي الشيخ، وقد أنجبت له ولدان فرحات ويحيى وثلاث بنات، وهي التي رافقته إلى المشرق سنة 1875، ثم بعد وفاته رجعت بأبنائها إلى الجزائر، وبالضبط إلى مسقط رأس أبيهم⁸.

أما عن أوصاف هذا البطل فهو أشقر اللون، أحمر الشعر وخاصة لحيته، كثيف شعر الحاجبين، دائري الوجه مدرع البنية له بندقية فريدة من نوعها⁹، ماهرا في الرماية أول الصف في المعركة، يلبس الحائك من الصوف ويعتم (يلبس العمامة) مثل الأمير عبد القادر، وكان إذا حمى وطيس المعركة يتنقب (أي يتلثم)¹⁰، كان عالما بدقائق الأرض الصحراوية حتى كان يلقب بالملاح

الحقيقى للصحرء¹¹، كلما حاول الفرنسىون حصاره للقبض علىه انفلت منهم بأعجوبة، وتسلى من الحصار بسبب معرفته الكبيرة بخفايا الصحرء، بطلا شجاعا دام كفاحه أكثر من ربع قرن ضد الاستعمار الفرنسى 1851 - 1875 محاولا دحره وصدّه عن التوسع فى الصحرء لا يجب الزعامة إلا إذا أرغم عليها وجد التأييد فى الجنوب التونسى بصحرء الجرىد وبخاصة لدى الزاوية الرحمانية بنفطه والى كانت ملجأ للثوار الجزائرىين والفاىرىن بدينهم من الاستعمار وضل يناوش الاستعمار من هناك على الحدود مدة طويلة من الزمن فى حرب الكر والفر، ومنذ 1851 لم يتوقف هو أتباعه من الأرباع عن الحرب ضد الاستعمار أو القبائل المتعاونة معه¹².

قال فىه أحد الثوار¹³ قولاً مشهوراً: (فى الخلى عودى وفى الرجال ابن ناصر بن شهرة) وهذا دليل على مكانة الخلى التى كانت الأداة الهامة فى جهاد الثوار واعتراف الأبطال بالأبطال، إذ لا يعرف البطل إلا البطل، ساهم بشكل كبرى فى الكثير من المقاومات والانتفاضات كمقاومة الشرىف محمد بن عبد الله بورقلة 1851، ومقاومة أولاد سىدى الشىخ 1864 وبوشوشة فى الصحرء 1869، وثورة المقرانى والحداد سنة 1871، جاب كل الصحرء من الشرق إلى الغرب قصد استنفار الهمم والحث على الجهاد، فشكل بذلك أول قيادة جماعية للمقاومة¹⁴ وكان بحق الرابطة الحقىقية وهمزة وصل بين كل الثورات والانتفاضات التى اشتعل فتيلها ابتداء من خمسينات القرن التاسع عشر والى غاية 02 جوان 1875 حيث نفى من قبل باى تونس والذى أذن له بالركوب من مرسى حلق الوادى إلى بىروت، ومنها إلى دمشق حيث أمضى بقية حياته مجاوراً للأمىر عبد القادر إلى أن توفى سنة 1884¹⁵.

2/ بداية مقاومته 1851:

تلقى ابن ناصر ابن شهرة تكويناً عسكرياً فى مدرسة الأمىر عبد القادر الحربىة والوطنىة وكان من فرسانه الشجعان، وكان له تأثير كبرى على الثوار فى جمع الكلمة والانضباط ونشر العاطفة الدينىة والوطنىة¹⁶ إلا أن مشواره الجهادى قد بدأ منذ اعتلاءه قيادة الأرباع سنة 1846، حيث كان يرفض كل تعامل أو اتفاق مع الاستعمار الفرنسى¹⁷ وذلك بالرغم من العروض المغرىة التى كان القائد العام لمنطقة المديّة " الجنرال لادمىرول " Ladmiraull يعرضها علىه مقابل قبوله الانضواء تحت راية الفرنسىين، وكان آخر هذه العروض تلك التى حملها إليه " الملازم

كاروس "18 Carrus بتاريخ 05 سبتمبر 1851 عندما كان رفقة قبائل الأرباع بالقرب من بوغار في إطار الرحلة المعتادة نحو المناطق التلية¹⁹ .

وعلى غير العادة كانت في لهجة المبعوث " كاروس " وجنوده الصبايحية الثلاثين نبرة حادة تحمل في معانيها الكثير من التهديد والوعيد إذا ما رفض القائد ابن ناصر الانصياع لهذا العرض، فلم يكن أمامه هذه المرة إلا أن يعلن جهرة عن حقيقة شعوره تجاه الاستعمار، فحضر هو وأخوه أبو بكر كميناً لهذه البعثة ليبرهن عن قدراته القتالية ويعلن بذلك قيام انتفاضته، فجرد المبعوث "كاروس" وجنده من أسلحتهم²⁰ ونزع عنهم ألبستهم عدا ما يستر عوراتهم، ثم أطلق سراحهم وأمرهم بالعودة من حيث جاؤوا²¹، وليبلغوا من بعثهم بأن " ابن ناصر بن شهرة سيلتحق بمن يمثل الدين والاستقلال " وهو يعني بذلك الجهاد من أجل الوطن الذي يمثله آنذاك شريف ورقلة محمد بن عبد الله²² .

ومباشرة بعد ذلك انسحب ابن ناصر بن شهرة جنوباً وقد لاحقته القوات الفرنسية التي استطاعت أن تجرد زمالته من بعض رؤوس مواشيتها في الشهبونية²³، وقد وجهت نداء لكل الوحدات الفرنسية في تلك المناطق رفقة العملاء باعتراض قافلة ابن ناصر بن شهرة ومحاولة القبض عليه²⁴ .

توجه ابن ناصر جنوباً نحو الأغواط وتحصن بقصر الحيران بعد أن تمّون بالشكل الكافي، كما اتصل بشريف ورقلة محمد بن عبد الله، الذي كان قد رجع آنذاك من المشرق واستقر بورقلة لمقاومة الزحف الاستعماري، وتفاهما على العمل والتنسيق المشترك بينهما، وكان ذلك خلال شهر نوفمبر 1851²⁵، كما اتصل سكان المدينة بابن ناصر بن شهرة وخاصة أعيانها للتعاون معه.

3/ تحالفه مع الشريف محمد بن عبد الله :

إن اتصال شريف ورقلة محمد بن عبد الله بابن ناصر بن شهرة في بداية شهر نوفمبر 1851 يعتبر نقطة تحول كبيرة في تاريخ المقاومة في الجنوب ذلك أنه توحدت صفوف المقاومين في منطقة واسعة جداً امتدت من جنوب المدينة شمالاً إلى غاية جنوب ورقلة وعين صالح في الجنوب وإلى تقرت وبسكرة وتبسة شرقاً وحتى البيض وتيارت غرباً، وضمنت ولاء الكثير من القبائل الكبيرة

كالخادمة وسعيد عتبة والأربع وأولاد نايل والشعانة وغيرهم تحت قيادة موحدة هدفها وقف المد الاستعماري نحو الجنوب.

ففي رسالة بعث بها ابن ناصر بن شهرة إلى سي الشريف بالأحرش أغا أولاد نايل يؤكد التحاقه بالشريف محمد بن عبد الله وعزمه على مقاومة الاستعمار ويدعوه لذلك، ومما جاء فيها: "محبنا وغاية ودنا السيد محمد الشريف... السيد محمد بن عبد الله قدم وميعاد الخادمة والشعانة معه... ولم تبق لنا طمعة في بلاد الفرنسيس... وانت حسبتناك منا وإلينا وحسبنا نحن لك وعليك، وانت في موضعنا... الوصاية"²⁶.

لم يكلف سي الشريف بالأحرش نفسه الرد على هذه الرسالة بل حولها بتاريخ 10 نوفمبر 1851 إلى قائد شعبة المدينة²⁷.

بتحالف ابن ناصر بن شهرة مع شريف ورقلة محمد بن عبد الله تشجّع هذا الأخير وازداد نفوذه وعزم فعلا على التحرك ضد الاستعمار وأعوانه، فزحف بتاريخ 11 ديسمبر 1851 على رأس جيش متكون من قبائل سعيد عتبة، وشعانة بوروبة (ورقلة)، وشعانة المواضي الذين قدموا من المنية لتدعيم صفوفه، وكانت وجهة الشريف هذه المرة "عقلة المقاديم"²⁸ قرب الأغواط حيث تقطن اغلبية قبيلة أولاد سعد بن سالم²⁹، الذين سارعوا إلى حمل اسلحتهم، كما استنفرت القوات الفرنسية وأعطيت الأوامر لسي الشريف بالأحرش للتحرك نحو عقلة المقاديم، مدعوماً بقبيلة أولاد نايل بقوات قدرها 500 فارس، وبني الأغواط بقيادة الشيخ علي ابن أحمد بن سالم بقوة قدرها 150 فارس، وجبل عمور بقوة قدرها 150 فارس تحت قيادة الدين بن يحيى³⁰.

لكن الشريف استطاع أن ينتصر عليهم، وقتل منهم حوالي 386 رجل كما غنم منهم الكثير من البنادق بالإضافة 500 رأس من الابل و400 رأس من البقر وأكثر من 4000 رأس من الغنم³¹، ففي رسالة وجهها الشريف محمد بن عبد الله إلى مدير غدامس الحاج موسى آغا، يسرد فيها بعض تفاصيل هذه المعركة فيقول: "من محمد بن عبد الله إلى الفاضل الورع الحلیم البدر الكامل مدير غدامس سيدي الحاج موسى آغا... وأما أنا عبد الله حين قدمت إلى بلاد ورقلة ففتح الله علينا بها وصارت محمية بعدما كانت في يد الرومي دمره الله وخليفة الرومي فيها... وصاروا عربان ورقلة وقصورها وقبائل الشعانة وقصور تقرت وعربانها والأربع والحرازية والحجاج وكثيرا

من عربان الظهرة وقصور بني ميزاب كلهم تحت طاعة الله ورسوله وطاعتنا، والمجاهدين كل يوم في زيادة... وبعث لنا الرومي دمره الله في هذه الساعة ثلاث المحل، محلة من بلاد العمور ومحلة من بلاد الأغواط ومحلة من جهة النوايل تلاقينا معهم وصرنا مثل الشامة البيضاء في ثور أسود فنصرنا الله نصرًا عزيزًا، وأعلننا على أعدائه ووقع القتال بيننا بالبارود والسيوف حتى كسرناهم كسرة عظيمة وقتلنا منهم نحو ثلاثة مائة وستة وثمانون رجلاً وقلعنا من الخليل كثير والبنادق بلا عدد والخنزرة والابل والاحبية والحمد لله على ذلك.³²

كما بعث الشريف محمد بن عبد الله برسائل مماثلة إلى كل من سيدي الشيخ بن الطيب من قبيلة لأولاد سيدي الشيخ الغرابية، وإلى سيدي محمد بن المكي من زعماء قبيلة بني زناسن، وإلى سيدي محمد بن ملوك مقدم سيدي أحمد بن علي زيسين من بلاد عطية، وفي هذه الرسائل يعرف بنفسه وكيف خرج نحو مكة، والتقاءه بالشيخ محمد بن علي السنوسي، ثم عودته نحو الجزائر عبر طرابلس ثم غدامس، ومنها إلى تقرت، وكيف استقر بورقلة ثم بداية كفاحه، كما يبشرونهم بنصره في المعارك التي خاضها في شهر ديسمبر من سنة 1851 ضد الشريف بن الأحرش وأعوانه، كما يطلب في هذه الرسائل تقديم الدعم له بالرجال والسلاح.³³

بعد ذلك أخذ الشريف محمد بن عبد الله يستعد لغزو مدينة بريان وكاتب بقية المدن الميزابية يطلب منهم الخضوع وتقديم فروض الولاء والطاعة لسلطته، غير أنهم رفضوا ذلك بل إنهم أعلنوا استعدادهم لمحاربتة وتحذوه قائلين له: "إذا أردت القتال فاتجه للفرنسيين مباشرة أعداء البلاد".

في هذه الأثناء انسحب سي الشريف بالأحرش نحو بني يزقن بغرداية الذين استقبلوه بحفاوة، ومنحوه ما احتاجه لهذه المهمة، لكن وقع ما لم يكن في حسبانته بحيث اتصل كل من "بوزيان" و"بجرة" قادة بني الأغواط بالشريف محمد بن عبد الله في متليلي ووعدوه بانضمامهم إليه بتقديم 500 من المشاة لتدعيم صفوفه.³⁴

وفي مساء يوم 17 جانفي 1852 التقى الجميع في منطقة العقرب، حيث هاجم سي الشريف بالأحرش قوات الشريف محمد بن عبد الله، لكنه اكتشف خيانة بني الأغواط وجزء من أولاد يعقوب الذين انسحبوا إلى ضفة وادي جدي جنوب جبل بوكحيل، هذه الخيانة دفعت بسي

الشريف بالأحرش إلى طلب النجدة من القائد العام لمنطقة بوغار حيث جاء في رسالته: " اذا كنتم فرنسيين كما أعرف بعصبيتكم وشجاعتكم ... فلتأثروا لهذه الخيانة" وفي الحال أمرت السلطة الفرنسية النقيب بيتي Capitaine Petit القائد الأعلى لمنطقة بوسعادة بنجده والتوجه حالا إلى وادي جدي³⁵.

هذه الأحداث أدت بسلطات الاستعمار إلى التفكير من أجل وضع حاجز من القبائل الموالية لها لحماية حدودها في المناطق التلية، ولهذا السبب أمر الجنرال راندون³⁶ Randon ، بتاريخ 7 فيفري 1852 الجنرال لادميرول³⁷ Ladmiraault في بوغار بتشكيل طابور متحرك من قبائل التيطري وقبائل التل قوامه 1500 فارس تحرك خلال شهر مارس في محاولة للتفاوض مع الأرباع وثنيهم عن التمرد³⁸، بالإضافة إلى قبائل أولاد نايل تحت قيادة سي الشريف بالأحرش وفعلا تشكل هذا الطابور المكون من 4 سرايات من الفرقة الأولى للصباحية، 6 سرايات من الفرقة الأولى لصيادي افريقيا، كتيبة من قناصة الأهالي، كتيبتين من الخط 12 المدفعية الجبل³⁹.

كما قامت سلطات الاحتلال بإعادة التنظيم الجديد للجنوب فأوكلت لسي الشريف بالأحرش قيادة كل قبائل أولاد نايل لمقاطعة المدينة، بينما رأت في أحمد بن سالم شيخ الأغواط بأنه الشخص غير المناسب لهذا التنظيم الجديد، ولا يملك مؤهلات للعب دورا مهم يحظى بثقة الادارة الفرنسية لذلك استدعته إلى المدينة بحجة الاهتمام ببعض الأمور التجارية وعينت مكانه أحد أبناءه الشيخ علي لتسيير شؤون مدينة الأغواط، كما عملت على عزل قبيلة الارباع الكبرى ومحاولة الدخول في مفاوضات معها من أجل ثنيها عن التمرد⁴⁰.

في هذا الاطار تحرك الجنرال لادميرول نحو الأغواط بتاريخ 22 فيفري 1852 واتبع الطريق الذي سلكه "الجنرال ماري مونج⁴¹ Marey Monge "قبله سنة 1844 حيث وضع هذا الأخير الخرائط الطبوغرافية اللازمة - ووصلت إلى الأغواط بتاريخ 01 مارس، حيث أعطى تعليمات لأحمد بن سالم ثم توجه نحو قصر الحيران حيث ترك هناك حامية عسكرية مكونة من كتيبة الخط 12 وكوكبة من الصباحية، وبتاريخ 13 مارس عاد إلى الأغواط حيث التقى هناك بالكتيبة الثانية للمشاة الافريقية الخفيفة تحمل المؤونة قادمة من شرشال ولما أبلغ "الجنرال لادميرول " بقوة ومناعة ابن ناصر اكتفى بمراسلته من تحت أسوار مدينة الأغواط⁴²، وكانت تلك

المراسلات تحمل نوعا من التودد والعروض المغرية، لكن ابن ناصر رفض كل تلك العروض، فرجعت تلك الحملة بتاريخ 02 ماي إلى المدية واعتبرت على أنها عملية جس نبض قوة المقاومة واقتُرحت على الدوائر الاستعمارية تجهيز حملة أكثر قوة لاحتلال الأغواط التي تعتبر منطقة هامة وعتبة أساسية للتوسع في الصحراء.⁴³

في هذا الوقت أصبحت الوضعية خطيرة بالنسبة لفرنسا في جنوب مقاطعة وهران وفي جبل العمور خاصة بعد الضغوط والتهديدات من قبل الشريف محمد بن عبد الله على أولاد سيدي الشيخ الذين يقودهم الأغا سي حمزة⁴⁴، الرجل الذي يتمتع بنفوذ ديني كبير عند كل قبائل المنطقة والذي جمع أنصاره من أجل التحرك نحو الجنوب للقضاء على هذه التمردات، من جهة أخرى جمع الرائد دوليني⁴⁵ Commandant Déligny قواته في تيارت والمكونة من كتيبة للمشاة والسرية الثانية للصباحية واتجه نحو البيض، كما أمر سي حمزة بالتقدم نحو وادي زرقون بالقرب من قصر للهاية بإتجاه وادي ميزاب⁴⁶.

وبتاريخ 25 مارس 1852 سار الشريف محمد بن عبد الله بالقرب من الأغواط واتجه نحو قصر للهاية⁴⁷ حيث قام بمهاجمة أولاد يعقوب، ومنها انتقل إلى وادي زرقون أين عسكر بالقرب من أولاد سيدي الشيخ، وهنا حدث ما لم يكن في الحسبان حيث قام سي حمزة بإرسال 3 فرسان للشريف محمد بن عبد الله لتبليغه الدخول تحت قيادته⁴⁸

ولما علم الجنرال لادميرول بما حدث غادر الأغواط بإتجاه تاجرونة⁴⁹ واستقر عند منابع وادي صقر ليقترّب من الشريف، هذا الأخير الذي أخذ الطريق نحو الجنوب، اما سي حمزة فقد كان قلق فالتف نحو وادي صقر وتوقف عند أسوار بريزينة.

وبتاريخ 2 أبريل وبسبب هذه التطورات غير الرائد دوليني من مساره واتجه نحو ستين من أجل مراقبة قصور بريزينة والغاسول واحتواء مشتريات أولاد سيدي الشيخ الغرابة والأغواط اكسل، ودخل في مفاوضات مع سي حمزة الذي وقع في ضغط بسبب حصاره من قبل قوات دوليني وقوات لادميرول فاضطر إلى الاستسلام⁵⁰.

وبتارىخ 7 أفرىل أأذ الرائد دولىنى طرىقه نحو الشمال مصحوبا بسى حمزة الذى قدم له 3 رسائل استلمها من الشرىف محمد بن عبد الله لكى ىرسلها إلى 3 شأصىيات مهمة فى الغرب وهى: الأولى إلى سى الشىخ بن الطىب زعمى بنى معطر قرب وهران، والثانىة إلى سىدى محمد بن مكى رآل ىملك نفوذ عند بنى سناسن والمآاربة على الحدود، والثالثة لسىدى محمد بن ملوك مقدم زاوىة سى محمد بن زىعن مرسللة لكافة شرفاء الغرب، وكانت هذه الرسائل تحمل فى معانىها الحماس الدىنى والدعوة إلى الآهاد، وكانت بالنسبة لقوات الاآتلال مؤامرة دىنية آحاك لىس فقط عند قبائل آبل العمور ومقاطعة المدىة بل كل سكان الحدود من الغرب وإلى الجنوب⁵¹.

وقد آاء فى إحدى الرسائل وهى الموجهة إلى السىد الشىخ بن الطىب ما ىلى:

" أعلكم یا أنى أنى كنت فى مكة لغرض الدراسة هناك، وقد بقت أربع سنوات، فى نهایة العام الماضى تلقىت أمر من شىخنا الذى هو الشرىف سى محمد بن السنوسى رضى الله عنه للذهاب إلى الآزائر من أجل الدعوة إلى الحرب المقدسة، غادرت و وصلت ورقلة فوجدتها بآوزة الفرنسىین، بقتى متآفیا لمدة شهرین تقرىبا... لقد تم اىفاف آلیفة الفرنسىین وتدمیر قصره... لدینا آىش عظیم مؤلف من التوارق، الطرود، قصور بنى مزاب، كل الأربع والحرآلیة... وقد أرسل لنا الفرنسىون ثلاث طوابیر لآتالنا من آبل العمور، من بنى الأغواط، ومن أولاد نایل، آآتمعنا بهم وقد هزمناهم وغمنا منهم الكثير من الأغنام والابل والبارود وقد آتلنا منهم نحو 300 رآل ینما مات من آىشنا 18 رآل... أرسل لنا من یرىد أن ینظم إلینا وإن كنت آائفا فأبقى آالسا، إن الله ىعلم ما فى القلوب، آآیة إلى أعمامى سىدى آحمد الحاج وسىدى الحاج الشىخ بن المدنى..."⁵².

وكان من أمر سى حمزة أن عزله الآنرال بىلىسى⁵³ Général Péliissier ووضعه فى الاقامة الآبریة بوهران وأوكل لأآیه سى النعمى قیادة أولاد سىدى الشىخ، هكذا استطاعت القوات الفرنسىة آآیید أولاد سىدى الشىخ وآآنب آمردهم الذى كان ىمكن أن ىآدآ آصارا تاما علیها فى الجنوب⁵⁴.

4/ أسباب اندلاع انتفاضته سنة 1851:

تلقى ابن ناصر ابن شهرة تكويناً عسكرياً في مدرسة الأمير عبدالقادر الحربية والوطنية وكان من فرسانه الشجعان، وكان له تأثير كبير على الثوار في جمع الكلمة والانضباط ونشر العاطفة الدينية والوطنية⁵⁵ إلا أن مشواره الجهادي قد بدأه منذ اعتلاءه قيادة الأرباع سنة 1846 حيث كان يرفض كل تعامل أو اتفاق مع الاستعمار الفرنسي وذلك بالرغم من العروض المغرية التي كان القائد العام لمنطقة المدية "الجنرال لادميرول" يعرضها عليه مقابل قبوله الانضمام تحت راية الفرنسيين، وكان آخر هذه العروض تلك التي حملها إليه "الملازم كاروس"⁵⁶ بتاريخ 05 سبتمبر 1851 عندما كان رفقة قبائل الأرباع بالشهبونية قرب بوغار في إطار الرحلة المعتادة نحو المناطق التالية⁵⁷.

و على غير العادة كانت في لهجة المبعوث "كاروس" وجنوده الصبايحية الثلاثين نبرة حادة تحمل في معانيها الكثير من التهديد والوعيد إذا ما رفض القائد ابن ناصر الانصياع لهذا العرض، فلم يكن أمامه هذه المرة إلا أن يعلن جهرة عن حقيقة شعوره تجاه الاستعمار، فحضر هو وأخوه أبو بكر كميناً لهذه البعثة ليبرهن عن قدراته القتالية ويعلن بذلك قيام انتفاضته، فجرد المبعوث "كاروس" وجنده من أسلحتهم ونزع عنهم ألبستهم عدا ما يستر عوراتهم ثم أطلق سراجهم وأمرهم بالعودة من حيث جاؤوا ولبلغوا من بعثهم بأن "ابن ناصر بن شهرة سيلتحق بمن يمثل الدين والاستقلال" وهو يعني بذلك الجهاد من أجل الوطن الذي يمثله آنذاك شريف ورقلة محمد بن عبد الله⁵⁸.

ومباشرة بعد ذلك توجه ابن ناصر جنوباً نحو الأغواط وتحصن بقصر الحيران بعد أن تمول بالشكل الكافي، كما اتصل بشريف ورقلة محمد بن عبد الله الذي كان قد رجع آنذاك من المشرق واستقر بورقلة لمقاومة الزحف الاستعماري وتفاهما على العمل والتنسيق المشترك بينهما، وكان ذلك خلال شهر نوفمبر 1851⁵⁹ كما اتصل سكان المدينة بابن ناصر بن شهرة وخاصة أعيانها للتعاون معه.

وفور وصول المبعوث "كاروس" إلى المدية وأطلع "الجنرال لادميرول" على ما وقع له سارت المخاوف والشكوك من اندلاع مقاومة في الصحراء لذلك توجه "الجنرال لادميرول" على

رأس قوة مؤلفة من 1300 من المشاة و500 فارس نحو الأغواط بأمر من الوالي العام "الجنرال راندون" موقع بتاريخ 17 فيفري 1852⁶⁰ تحركت هذه القوة بتاريخ 22 فيفري 1852 واتبعت الطريق الذي سلكه "الجنرال مونج" سنة 1844 - حيث وضع هذا الأخير الخرائط الطبوغرافية اللازمة - ووصلت إلى المنطقة بتاريخ 09 مارس، ولما أبلغ "الجنرال لادميرول" بقوة ومناعة ابن ناصر في قصر الحيران اكتفى بمراسلته من تحت أسوار مدينة الأغواط، وكانت تلك المراسلات تحمل نوعا من التودد والعروض المغرية، لكن ابن ناصر رفض كل تلك المقترحات، فرجعت تلك الحملة بتاريخ 02 ماي إلى المدينة واعتبرت على أنها عملية جس نبض قوة المقاومة واقترحت على الدوائر الاستعمارية تجهيز حملة أكثر قوة لاحتلال الأغواط التي تعتبر منطقة هامة وعتبة أساسية للتوسع في الصحراء⁶¹.

إن اتصال ابن ناصر بن شهرة بشريف ورقلة محمد بن عبد الله في بداية شهر نوفمبر 1851 يعتبر نقطة تحول كبيرة في تاريخ المقاومة في الجنوب ذلك أنه توحدت صفوف المقاومين في منطقة واسعة جدا امتدت من جنوب الجلفة شمالا إلى غاية ورقلة في الجنوب وإلى تقرت وبسكرة شرقا وضمت ولاء الكثير من القبائل الكبيرة كالمخادمة والأربع وأولاد نايل والشعانية وغيرهم تحت قيادة موحدة هدفها وقف المد الاستعماري نحو الجنوب.

و من أبرز المعارك التي قادها ابن ناصر بن شهرة رفقة الشريف محمد بن عبد الله في هذه الفترة تلك التي وقعت بتاريخ 22 ماي 1852 جنوب واد جدي، ويسمى الفرنسيون بعملية "الكومندان كولينو"⁶² حيث زحفا الاثنان من ورقلة فسيطرا على نقوسه ودخلا تماسين⁶³ دون مقاومة فانضمت لهما أعداد من ثوار واد ريغ والشعانية⁶⁴ وسعيد عتبة⁶⁵، كما حاولا دخول تقرت بمساعدة سلهمان الجللابي أحد منافسي سلطان تقرت عبد الرحمن الجللابي لكن هذه المحاولة باءت بالفشل فاتصلا مع ابن الأحرش في الجلفة للحصول على مساندته لكن هذه المفاوضات فشلت، وبهذا كله أصبح الاثنان يهددان المركز الفرنسي في بسكرة الذي كان تحت قيادة "كولينو" فما كان من الأخير سوى توجيه ضربة إلى هؤلاء المقاومين فوجه قواته بشكل سريع في مساء يوم 20 ماي تتكون من أكثر من 200 بين فارس وصباحية وقنا صين، وفي اليوم الثاني 21 ماي

جمع حوالي 700 فارس من قوم تلك المناطق، كما تلقى مساعدات من بوسعادة بقيادة " الكومندان بان " ومن باتنة بقيادة " الكولونيل ديفو".

والتقى الجمعان صبيحة 22 من ماي⁶⁶ فحول "الكومندان كولينو" توجيه ضربة جريئة وسريعة للثوار لكن حنكة ابن ناصر ومحمد بن عبد الله جعلته يفضّل ويتكبد خسائر كبيرة في صفوفه وذلك من خلال حرب الكر والفر نظرا لقلّة العدد والعدة مقارنة بالقوة الفرنسية، وتذكر المصادر الفرنسية هنا أن الثوار خلفوا 150 قتيلًا والكثير من العتاد⁶⁷.

بعد هذه المعركة انسحب كل من ابن ناصر ومحمد بن عبد الله جنوبا إلى ورقلة وبالضبط إلى الرويسات حيث تم عقد اجتماع بين شهري جوان وجويلية قصد تقييم الوضع ورسم خطة حرب جديدة تتلاءم مع الوضع، فتم الاتفاق على جعل مدينة الأغواط منطلقا للعمليات ضد الاستعمار، وقد شرع في تنفيذ هذه الخطة مع نهاية شهر جويلية حيث دخل ابن ناصر ابن شهرة قصر الحيران بتاريخ 31 جويلية 1852⁶⁸ واستقبل استقبال الأبطال من أهلها فأقام بها التحصينات ونظم التموين وكان هدفه من تحصين قصر الحيران⁶⁹ هو جعلها مركز لجمع المجاهدين والثوار من كل المناطق المجاورة.

و بالفعل فقد توافدت أعداد معتبرة من الثوار 09 سبتمبر 1852 وكان أول الوافدين الثائر " التلي بالأكل " ومعه عدد كبير من سكان منطقة بوسعادة (أولاد نائل) وبتاريخ 24 سبتمبر وصل " يحيى بن معمر " رفقة وفد عظيم من الأغواط والذين رفضوا تواجد الحامية العسكرية الفرنسية بمنطقتهم وأيدوا سياسة ابن ناصر الثورية⁷⁰، كما إنضم له يحيى بن سالم شقيق أحمد بن سالم⁷¹، ثم التحق به شريف ورقلة محمد بن عبد الله، فاتجهوا من قصر الحيران إلى مدينة القارة⁷² للتسليح والتموين.

وفور وصول هذه الأخبار إلى السلطات الفرنسية، أدركت أهمية المنطقة وضرورة السيطرة عليها لذلك عزم " الجنرال يوسف " القائد العام لمنطقة المدية - والذي خلف " الجنرال لادميرول - Ladmirault " على مراقبة الوضع عن قرب فشرع في بناء مركز قيادة جديد في مدينة الجلفة وقد اختار هذه المنطقة لكونها النقطة الرابطة بين بوغاز والأغواط وهي قريبة من هذه الأخيرة تسمح بمراقبة الثائرين بها⁷³.

ولما علم "الجنرال يوسف" بقدوم قوة ابن ناصر بن شهرة ومحمد بن عبد الله باتجاه الأغواط سار جنوبا على رأس قوة كبيرة لصددهم عنها، وكان قبل سيره ذلك قد بعث برسائل إلى سكان الأغواط يحثهم فيها على عدم استقبال المقاومين لأنهم يشكلون خطرا عليهم، لكن هذه الحملة باءت بالفشل بالرغم من وصولها لمدينة الأغواط حيث تم ترتيب بعض الأمور الخاصة بالحامية الفرنسية هناك، ثم رجع الجنرال بحملته إلى الجلفة يوم 17 أكتوبر مبررا فشله بعدم المجازفة في منطقة يجهلها وهي بعيدة عن أقرب مركز للقيادة الموجود بالمدينة ولأن مركز الجلفة ما زال في طور البناء⁷⁴.

و بعد هذه الحملة أرسل ابن ناصر ابن شهرة أخيه سي النعيمي⁷⁵ رفقة الشريف محمد بن عبد الله نحو المناطق الشمالية في اتجاه جبال العمور وذلك لجمع أكبر عدد ممكن من الثوار تطبيقا للخطة المتفق عليها في تلك الصائفة حيث كانا على رأس قوة تتألف من 500 فارس و300 جندي مشاة واستطاعا من خلال هذه الحملة أن يحرضا كل قبائل منطقة وهران وخاصة سكان عمور، والأحرار⁷⁶، والأغواط أكسل⁷⁷ الذين انتفضوا في تلك المناطق⁷⁸.

وكان سكان الأغواط وعلى رأسهم ابن ناصر بن شهرة مستعدين لتنفيذ هذه الخطة، فهم في انتظار وصول القوافل القادمة من التل والحملة بالقمح والمؤون قبل القيام بأي عمل ضد الاستعمار وكان ذلك من القضايا ذات الطابع الاستراتيجي والتي اتسم بها تفكير ابن ناصر ابن شهرة⁷⁹، وبعد وصول ما كان منتظر وبتاريخ 29 أكتوبر 1852 قام سكان المدينة بمحاصرة جنود الحامية الفرنسية بالمدينة وعلى رأسهم الملازم بن أحمد⁸⁰، فجردتهم من أسلحتهم وطردتهم من المدينة بتاريخ 31 أكتوبر 1852⁸¹ حيث وصل ابن أحمد إلى مركز القيادة الفرنسية بالجلفة يوم 01 نوفمبر 1852.

وأصبح الوضع بذلك مقلقا جدا ومهدد للوجود الفرنسي في مناطق كان قد وصلها هذا الأخير منذ مدة، لذلك زود الحاكم العام قوات "الجنرال يوسف" بسريتين من القناصة وسريتين من الصبايحية وكتيبة للرماة وكلفه بتعقب المقاومين ابن ناصر ابن شهرة ومحمد بن عبد الله، وكذلك فان قائد مقاطعة إقليم قسنطينة زوده بقوات عهد لقائد الحامية في بوسعادة بقيادتها رفقة مؤوتها اللازمة ووضعها تحت تصرف "الجنرال يوسف"، كما تشكل طابور سريع التحرك في بسكرة بعناية "

الجنرال مكماهون" كلف بملاحقة ابن ناصر ومحمد بن عبد الله اللذين سيطرا على مناطق في الشرق⁸².

وللضغط أكثر على ابن ناصر بن شهرة والشريف محمد بن عبد الله والثائرون معهم ومن أجل إعادة الثقة إلى سكان الصحراء وطمأنتهم حاولت السلطات الاستعمارية محاصرة الحدود التي ينشطان بها فبالإضافة إلى تجنيد القوات التي سبق ذكرها توجه "الجنرال بيليسي" قائد مقاطعة وهران رفقة "الجنرال بوسكارين" إلى البيض على رأس قوة مؤلفة من :

* كتيبتين من الزواف1250

* كتيبة الخط الخمسين600

* نصف الكتيبة الأولى الإفريقية600

* ثلاث سرايات قناصة330

* سرية واحدة من الصبايحية.....110

مجموعها 2890 جندي وقاما ببناء مركز قيادة هناك يؤمن المؤونة للعمليات العسكرية في الجنوب وقد عين الحاكم العام "المارشال راندون" الجنرال بيليسي Pélissier " قائدا عاما لجميع القوات العسكرية العاملة في الجنوب⁸³.

وفور سماع "الجنرال يوسف" Yusuf ما حدث من ثورة سكان الأغواط على جنود الحامية حتى تجهز من مركز قيادته الجديد بالجلفة وقصد الأغواط على رأس قوة كبيرة تقدر ب20 ألف جندي⁸⁴، وفي تلك الأثناء كانت وفود المقاومين تصل إلى مقر القائد ابن ناصر ابن شهرة في قصر الحيران، فحاول "الجنرال يوسف" Yusuf قطع الطريق على هذه الوفود فعسكر في "ميروسة" على بعد 15 ميل من قوات ابن ناصر بتاريخ 18 نوفمبر وفي اليوم الثاني واصل زحفه حتى لم يبق له سوى ميلين.

وأمام هذا التصعيد قرر ابن ناصر ابن شهرة ومحمد بن عبد الله الزحف بقوة على موقع العدو حيث جرت معركة من أكبر المعارك التي شهدتها المنطقة آنذاك يوم 21 نوفمبر تكبد فيها العدو الفرنسي خسائر كبيرة إضافة إلى بعض قادته كالنقيب "أشطايل"⁸⁵، وهو الأمر الذي جعل "الجنرال يوسف" Yusuf ينسحب إلى قصر العسافية⁸⁶ في حين دخل الثوار إلى مدينة الأغواط

تحت تكبيرات وتهليل السكان، وقد بدأوا على الفور في عمليات التحصين والتحصير للمواجهة الحاسمة مع العدو⁸⁷. وللإشارة هنا فإن قصر العسافية كان مستودع الذخيرة لابن ناصر ابن شهرة حيث أقام فيه مصنعا للبارود تحت الأرض، لكن القوات الفرنسية لم تنتبه لذلك.

5/ دوره في انتفاضة مدينة الأغواط:

عملت الإدارة الاستعمارية على بث روح النزاع والفرقة بين القادة والزعماء من القبائل وشيوخ الزوايا مما أدى إلى زعزعة المنطقة ونشوب اضطرابات في غاية الخطورة في الوقت الذي اشتعل فيه فتيل مقاومة الزعاطشة 1849، وهي كلها معطيات أقنعت فرنسا بضرورة شن حملة على الأغواط التي شهدت اندلاع انتفاضتها وظهور قيادات مقاومة بها، وكان الاستعمار الفرنسي حريص كل الحرص على احتلال هذه النقطة بالذات لأنها ذات موقع استراتيجي هام وأحد الأعمدة الأساسية للسياسة الاستعمارية ذات الأهداف بعيدة المدى لاحتلال الصحراء الكبرى وجزء كبير من إفريقيا جنوب الصحراء فالأغواط تشكل:

- 1/ مركز متقدم لجنود الحراسة.
- 2/ بوابة للصحراء وقاعدة عسكرية يمكن التوسع منها إلى مناطق صحراوية أخرى .
- 3/ نقطة استراتيجية متساوية البعد بين الجزائر والقلعة وورقلة وقريبة من البيض وأولاد سيدي الشيخ وتسمح بأخذ جبال العمور من الخلف وهي أقرب نقطة استراتيجية صحراوية إلى مدينة الجزائر.
- 4/ مركز تموين الجيوش وإيوائها ومحطة للمياه.
- 5/ نقطة مراقبة تجارة الميزاب نحو التل ونقطة ارتكاز وحماية القوافل مثل معاهدة 1853⁸⁸.
- 6/ قاعدة عسكرية وموقع جيد لكل التحركات
- 7/ الموقع العسكري للأغواط يسمح بملاحظة ومراقبة وتحديد تحركات السكان إلى إفريقيا جنوب الصحراء.
- 8/ تشكل الأغواط وبسكرة وبوسعادة والبيض حزاما للأمن لكل شمال الجزائر.
- 9/ من الأغواط وفي حالة أي عصيان مدني على بعد 400 كم فان القوات العسكرية يمكن أن تتدخل في كل الاتجاهات من عين الصفراء إلى تقرت إلى القليعة

10 / منتجات الأغواط الفلاحية وتجارتها تسمح لفرنسا أن تراقب كل حركات العرب الرحل وإرغام السكان على الاتصال بالنظام الاستعماري⁸⁹ .

كل هذه العوامل كانت تدركها السلطات الاستعمارية بشكل جيد، كما كان يدركها أيضا ابن ناصر بن شهرة لذلك فإن الصراع كان على أشده للسيطرة على هذه المنطقة، وعليه فإن الاستعمار لم يستطع أن يسيطر عليها إلا بعد أن جيش لها خيرة رجاله وبأعداد كبيرة، فقد أحاطت القوات الغازية المدينة من كل جوانبها وكانت موزعة كما يلي⁹⁰:

* من الشمال الجنرال يوسف Yusuf

* من الشمال الغربي العقيد تروملي Trumelet

* من الغرب الجنرال بيليسي Pillissier

* من الجنوب الغربي الجنرال بوسكارين Bouskaren

* من الجنوب الشرقي العقيد بان Pein

* من الشرق الرائد موران Morand

وهذا تفصيل لأهم القوات التي حاولت القضاء على انتفاضة ابن ناصر ابن شهرة واحتلال

مدينة الأغواط⁹¹

1 / فصل قوات الفرقة الأولى والثالثة والرابعة للمدفعية.

2 / فصل الفرقة الثالثة للهندسة.

3 / الخط الخمسون مع كتيبة تحت قيادة " العقيد جرارد".

4 / الخط الستون مع كتيبتين تحت قيادة " العقيد ماركيز دولينيار".

5 / الفرقة الأولى من الزوافين مع كتيبة تحت قيادة " الرائد باروا".

6 / الفرقة الثانية من الزوافين مع كتيبتين تحت قيادة كل من " العقيد كليرك" والرائد موران " و"

الرائد ملافوس".

7 / الكتيبة الأولى للمشاة الإفريقية الخفيفة تحت قيادة " الرائد ليبيرت".

8 / كتيبة للرماة تحت قيادة "الرائد روز".

9 / فصل من فيلق للرماة من إقليم قسنطينة.

- 10/ أربع سرحدات للفرقة الثانية للصيادين إفريقيا تحت قيادة "العقيد رام".
11/ سريتان للفرقة الأولى للصباحية تحت قيادة "الرائد فرانك".
12/ سريتان للفرقة الثانية للصباحية تحت قيادة "الرائد دولاتور لوندو"⁹²

وقد حدثت عدة مواجهات بين تاريخ 21 نوفمبر وإلى غاية 02 ديسمبر تاريخ الهجوم المكثف والذي استعمل فيه الفرنسيون تلك الأعداد الضخمة من الجنود، وجرت المعركة الفاصلة من 02 إلى 04 ديسمبر 1852 تاريخ سقوط مدينة الأغواط بعد استماتة عظيمة ومقاومة عنيدة جدا⁹³ من قبل المقاومين وعلى رأسهم ابن ناصر ابن شهرة والشريف محمد بن عبد الله⁹⁴. حيث جرح هذا الأخير وأخرج ابن ناصر ابن شهر من الحصار المفروض على المدينة دون أن يعلم الجيش الفرنسي⁹⁵.

ارتكبت فرنسا أبشع الجرائم عند احتلالها للمدينة⁹⁶ فقد قتلت ثلثي سكانها أي حوالي 2500 شهيد من أصل 3600 ساكن في ذلك الوقت، كما عاث الجنود الفرنسيون بالمدينة لأكثر من أسبوع كانوا ينتقلون من بيت إلى بيت، ويطلقون النار دون أي تمييز وينهبون ويسلبون الأثاث والنقود والحلي⁹⁷، ويحرقون المؤونة، ولم تسلم حتى الكتب التي في الدور أو المساجد هذه الأخيرة التي دمر اثنان منها وحول الثالث إلى إسطنبول للحيوانات أما الرابع فقد حول إلى كنيسة، أما من بقي حيا من السكان فقد وضع لهم محتشد كبير عانوا فيه الجوع والمرض والمهانة كأنهم حيوانات⁹⁸، ومنهم من استطاع الفرار إلى خارج الحصار، أما أكبر جريمة ارتكبتها القوات الفرنسية فهي جمعها لأعيان المدينة ووضعهم في أكياس أغلقت عليهم، ثم أحرقتهم قرب وادي أمزي ورمت ما يقارب 256 جثة في آبار، هذه الجرائم المرتكبة يشهد بها الفرنسيون أنفسهم، فأحد الضباط المشاركين في الحملة يقول: " حمل جنودنا على البلدة من كل صوب ... لا يخامرهم أدنى تردد في الفتك بكل من يعترض سبيلهم أو يحاول مقاومتهم مستخدمين كل ما لديهم ... وتم القضاء بالسلاح الأبيض على من تبقى من المقاومين .. " ويقول مرة ثانية: "... المجزرة كانت رهيبة والأرزقة مغطاة بالجلث ... كان الجنرال بيليسي Pélissier في أتم الابتهاج والفرح وعلى جماجم هؤلاء احتفل بالنصر حيث فرشت الزرابي الفاخرة وسط المدينة وتناول عليها غداءه وهنا ضباطه على انجاز المهمة⁹⁹، ومما جاء في مذكرات " النقيب دو براي Du Barail " : إن الجنرال بيليسي

Péllissier اتخذ بعد المجزرة قرارا بهدم المدينة واقتلاع نخيلها وترحيل من بقي من السكان إلى منطقة أخرى في الجزائر¹⁰⁰، كما يصف الكاتب الفرنسي فرومنتان عند زيارته للأغواط بعد ستة أشهر من المعركة بأنه وجد المدينة ما زالت تفوح في جنباتها رائحة الجثث المتعفنة، وأن الكلاب تأتي ليلا لنهش أشلائها ويواصل قائلاً: "جميع الأملاك المصادرة وضعت مؤقتا في عهدة حارس قضائي أما فيما يخص تلك الغنائم العظيمة من السجاد والأسلحة والحلي... فيمكن القول أنه لم يبق منها شيء في الأغواط... كل البيوت فارغة، من أقرها إلى أغناها وتخالها مدينة رحل كل ساكنيها

101»

خاتمة:

تعتبر مقاومة ابن ناصر بن شهرة 1850-1875 من أطول المقاومات الشعبية في الجزائر، وأوسعها من حيث الرقعة الجغرافية التي انتشرت فيها، كما تعتبر ذات بعد إقليمي عربي مسلم وليس وطني فحسب، فوطنيا شاركت فيها الكثير من القبائل والكثير من الطرق الصوفية (كالقادرية والسوسنية والشيخية والرحمانية...) وإقليميا فقد كانت تونس أيضا ميدانا لهذه المقاومة خاصة منطقة نفطة وتوزر والجريد، كما شاركت الكثير من القبائل التونسية في هذه المقاومة، وأيضا نالت دعما من الدولة العثمانية ولو معنويا، الشيء الذي بين مدى التلاحم والتضامن بين الشعوب العربية والإسلامية في ذلك الوقت، كما تعتبر مقاومة ابن ناصر بن شهرة من أهم المقاومات في الجنوب الجزائري التي قارعت التوسع الفرنسي وزحفه نحو الصحراء الجزائرية وعطلت مشاريعه وطموحاته بتكوين الإمبراطورية الفرنسية الواسعة في ظرف وجيز، كما تعتبر شخصية ابن ناصر بن شهرة من أهم الشخصيات التي تمتعت بحسبها الوطني العالي تجسد ذلك من خلال مشاركته في الكثير من الثورات والمقاومات التي عاصرها، وشارك في الكثير من معاركها كجندي مدافع، غير مدعيا للزعامة ولا للقيادة، تلکم هي بعض خصال ملاح الصحراء والذي لم يترجل عن صهوة حصانه إلا بعد أن بلغ من العمر عتيا.

المراجع المعتمدة:

- 1- أبو القاسم سعدالله : الحركة الوطنية الجزائرية، ج 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992.
- 2- أحمد قصبية: ابن ناصر ابن شهرة أحد أبطال ثورة 1871 مجلة الأصالة عدد06، جانفي 1972.
- 3- يحي بوعزيز: كفاح الجزائر من خلال الوثائق : المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1980.
- 4- إبراهيم مياسي: أطماع فرنسا في الأغواط، مجلة الرؤية، عدد 02، 1996.
- 5- المبعشر: عدد 95 شهر أوت 1851.
- 6- المبعشر: عدد 98 بتاريخ 1 أكتوبر 1851.
- 7- المبعشر: عدد 113 بتاريخ 15 افريل 1852.
- 8- المبعشر: عدد 104 بتاريخ 1 جانفي 1852.
- 9- Randon: *Mémoires du Maréchal Randon*, typographie Lahurb, Tome Premier, Paris 1875 .
- 10- Barbier J : *Itinéraire Historique Et Descriptif De L'Algérie*, Librairie De L. Hachette, Paris, 1855.
- 11- Ch. A Julien: *Histoire de l'Algérie contemporaine*. (Paris -1964).
- 12- Eugène Fromentin: *Un été dans le Sahara*, 3ème édition, Librairie Plon, Paris, 1877.
- 13- *Journal des marches de la colonne expéditionnaire du Général Ladmiraault (Fev-Mai1852)*. A.M.G, 2H14
- 14- L. Le Saint , E. Ardant : *Fastes de L'Algérie Ancienne et Moderne*, Limoge, 1873 P113 .
- 15- Ladmiraault : *Au Sujet De La Défection des Larbaa et Ben-Naceur Ben-chohra*, A.O.M 2 H 10
- 16- louis Rinn: *L'insurrection De 1871 En Algérie*, Librairie Adolphe Jourdan, Alger, 1891, p 663.
- 17- Mangin : *Note Sur L'Histoire de Laghouat*, Adolphe Jourdan, Libraire Editeur Alger, 1895
- 18- Koyne : *Le Mzab*, Adolphe Jourdan librairie éditeur, Alger, 1879.
- 19-Biographie de La Famille de Ben-Naceur et Lakhdar : A.O.M 10 H 78.
- Charles Féraud: *Le Sahara de Constantine, Notes et Souvenirs*, Alger 1887

20- Du Baril : *Mes Souvenirs* T. 2, 4 éme éd, Librairie plon ; Paris 1895

21-Lehuraux: *Les Auxiliaires De L'Armée (Goum Et Makhzens Algériens) L'Armée D'Afrique N° 54, 6éme Année* 1929

22-Maguy Gallet-Villechange : *Le général Paul de Ladmirault: un enfant du Poitou sous les aigles impériales, Vitae,Parçay-sur-Vienne, France, 2008*

23-Narcisse Faucon : *Le Livre D'Or De L'Algérie, T1, Challamel et Cie éditeurs, Paris, 1889*

24-Trumelet: *Les Français dans le désert : journal historique, militaire et descriptif d'une Expédition aux Limites du Sahara Algérien, deuxième Édition, Challamel Ainé Editeur, Paris 1885.*

الهوامش:

¹ تذكر أحد المصادر الفرنسية أن أصل ابن ناصر بن شهرة يعود إلى أحد أشرف الساقية الحمراء يدعى علي قدم في حدود سنة 1570 إلى منطقة الزاب حيث مكث هناك عند قبيلة المعامرة وهاجر معها في حدود سنة 1635 إلى مناطق الأغواط وشيئا فشيئا تبوأ أفراد هذه الأسرة مكانة مرموقة داخل القبيلة حتى صاروا أسيادا عليها. أنظر:

Biographie de La Famille de Ben-Naceur et Lakhdar : A.O.M 10 H 78.

ومن خلال ما تقدم فإن صحة هذه الرواية تبقى محل شك لسببين: الأول أن معلوماتها غير موثقة ولا يوجد مصدر لها، والسبب الثاني أن المصادر الفرنسية عادة ما تنسب أبرز الشخصيات الجزائرية إلى أشرف من الساقية الحمراء والمغرب الأقصى وكأنها تنفي صفة الشرف عن الجزائريين تماما.

² أحمد قصيبة : *ابن ناصر ابن شهرة أحد أبطال ثورة 1871* مجلة الأصالة عدد06، جانفي 1972 ص 56 .

³ كان زعيم الأرباع هو قندوز بن علي من أجداد بن شهرة تقلد عدة مناصب تحت سلطة العثمانيين وظهر بعده ابنه أحمد الشاوي وذلك ما يدل على أن ابن ناصر وأحمد بن الشاوي بينهما علاقة قرابة وأيضا فان عائلة بن ناصر بن شهرة منذ القدم وهم من قادة قبيلة الأرباع أنظر:

Charles Féraud: *Le Sahara de Constantine, Notes et Souvenirs, Alger 1887* p.p 133.134.

⁴ المبشر: عدد 95 شهر أوت 1851.

⁵ أصبح أحمد بن سالم شيخا على الأغواط منذ سنة 1828، متفردا بالسلطة بعد أن أزاح من طريقه بن شهرة بن فرحات، أنظر:

Biographie de La Famille de Ben-Naceur : OP, Cit.

⁶ أحمد قصيبة : المرجع السابق ص 57.

⁷ محمد قيل أنه قتل مسموما في قرية الادرسية من طرف الدوائر الاستعمارية بعد رجوعه من بيروت، وبعدها وعدته فرنسا بمنصب قائد . أما ابن شهرة بعدما رجع من الشام اشترك مع السنوسيين في ليبيا ضد الاحتلال الايطالي واستشهد سنة 1912. أنظر: إبراهيم مياي أطماع فرنسا في الأغواط مجلة الرؤية، عدد 02، 1996.

⁸ نسخة عن جواز سفر السيدة نوة صادرة بقنصلية فرنسا بدمشق سنة 1889 موجود عند أحفاد العائلة بالأغواط.
⁹ هناك الكثير من الأشعار الشعبية التي تفاخر ببندقيته نذكر منها ما قاله أحد الشعراء المجهولين:

رافدها ابن ناصر يتكيسر لايحها على المنكب الأيسر

مليها من الخذري يعمس حري من الفلكة يقصص

¹⁰ أحمد قصيبة: المرجع السابق ص 57 .

¹¹ louis Rinn: *L'insurrection De 1871 En Algérie*, Librairie Adolphe Jourdan, Alger, 1891, p 663.

¹² يقول لويس رين : " في نطفه، كان بن ناصر ابن شهرة الذي خلف أباه كأغا على الأرباع سنة 1846 يقوم منذ سنة 1851 بحرب مستمرة ضدنا في الصحراء الشرقية، و لم يترك سنة واحدة لم يهاجمنا فيها أو قبائلنا التي رضخت لنا، أنظر:

louis Rinn: Op, Cit, P 88.

¹³ هو الشهيد بوديسة المختاري ابن بن عودة زعيم قبيلة أولاد مختار من قصر البخاري و الذي سجن بفرنسا و الأغواط و استشهد سنة 1864 في إحدى معارك ابن ناصر ابن شهرة أنظر :

Trumelet: *Les Français dans le désert: journal historique, militaire et descriptif d'une Expédition aux Limites du Sahara Algérien*, deuxième Édition, Challamel Ainé Editeur, Paris 1885.pp. 17.26 et 44

¹⁴ القيادة الجماعية التي شكلها ابن ناصر ابن شهرة لقيادة المقاومة في تلك المرحلة تعني مشاركة القيادة مع محمد بن عبد الله شريف ورقلة و أولاد سيدي الشيخ في نواحي البيض ثم مع بوشوشة في الجنوب و أخيرا مع آل المقراني في نهاية ثورتهم.

¹⁵ يحي بوعزيز: *كفاح الجزائر من خلال الوثائق* : المؤسسة الوطنية للكاتب، الجزائر 1980، ص 156.

¹⁶ أبو القاسم سعدالله : *الحركة الوطنية الجزائرية*، ج 1، المؤسسة الوطنية للكاتب، الجزائر، 1992، ص 379 .

لا نعتقد أن الدكتور أبو القاسم سعد الله ذكر هذا الكلام بدون دليل، و منه فنحن نعتقد أن ابن ناصر بن شهرة فعلا كان أحد رجال الأمير عبدالقادر، و قد يكون سانده في حملته على عين ماضي منذ سنة 1838، ثم كلفه الأمير عبد القادر بجمع المؤن و الرجال و السلاح و الدليل على ذلك تلك الرسالة التي بعث بها الأمير لابن ناصر بن

شهرة يسألها فيها عن موقعه و بعض المعلومات الأخرى. هذه الرسالة موجودة لدى إحدى العائلات في ولاية تيسمسيلت اطلعنا على محتواها ولكن لا نملك نسخة منها.

¹⁷ تشير الوثائق الأرشيفية أن قبائل الأرباع بدأت تمردا منذ اعتلاء ابن ناصر بن شهرة قيادتها سنة 1846، و تمثل تمردا على السلطة الفرنسية من خلال ممثل هذه الأخيرة في المنطقة الشيخ أحمد بن سالم، حيث امتنعت عن دفع الضرائب له، مما جعل سلطات الاحتلال الفرنسي ترأب بشكل مستمر هذه القبيلة و تحاول اغراءها بمختلف الطرق من أجل تقديم فروض الولاء، لكن دون جدوى، حيث ظلت طيلة خمس سنوات حتى أعلنت قبائل الأرباع تمردا بشكل رسمي سنة 1851. أنظر:

تقرير لرئيس المكتب العربي بالمدينة مؤرخ بتاريخ جوان 1850 يظهر تمرد الأرباع منذ سنة 1846 المصدر: A.O.M.

2 H 10.

¹⁸ الملازم كاروس Carrus من مواليد مارسيليا، يهودي الأصل، يتكلم العربية بطلاقة كلف منذ سنة 1849 بمهمة مراقبة قبيلة الأرباع خاصة بعد ورود معلومات عن تمردا غير المعلن ضد السلطة الفرنسية، ادعى أنه صديق ابن ناصر ابن شهرة و يعرف كيف يؤثر في نفسية العرب، لكن كل محاولته من أجل اخضاع الأرباع باءت بالفشل. أنظر:

Du Baril : Mes Souvenirs T. 2, 4 éme éd, Librairie plon ; Paris 1895, P 11

أنظر أيضا تقرير الملازم كاروس عن مراقبته لقبيلة الأرباع مؤرخ في 11 فيفري 1851. المصدر: A.O.M 2 H

1

¹⁹ هناك اختلاف حول سبب انتفاضة ابن ناصر ابن شهرة في عدة مصادر فرنسية منها مثلا:

أن لويس رين Louis Rinn ادعى أن ابن ناصر ابن شهرة لما رفض أن يطيع صهره الخليفة أحمد بن سالم و رفض الفرنسيون أن يعينوه أعا على الأرباع عام 1846 خلفا لأبيه غضب و تمرد و حمل لواء الثورة منذ سنة 1851 و لذلك اعتقلوه و وضعوه و عدد من زعماء الأرباع في الإقامة الجبرية قرب بوغار أنظر:

louis Rinn: Op. Cit. pp 663. 664

أما شارل فيرو Charles Féraud فيذكر أن ابن ناصر ابن شهرة يخفي حقا قديما لابن سالم بسبب أن هذا الأخير قتل أباه (ابن شهرة)، و لما أصبح ابن ناصر قائد على الأرباع سنة 1846 نشب الخلاف بينهما، فقرر ابن ناصر التخلي عن منصبه و تزعم الثورة سنة 1851 أنظر :

Charles Féraud: Op. Cit. pp. 133.134

و من خلال استعراض هذه الروايات يتبين لنا عدم مصداقيتها من خلال التناقض الموجود بها فلطالما عودنا مؤرخي المدرسة الفرنسية على خلق الأكاذيب و تلفيقها من أجل نفي صفة المقاومة عن الجزائريين .

²⁰ Ladmirault : Au Sujet De La Défection des Larbaa et Ben-Naceur Ben-chohra, A.O.M 2 H 10

²¹ المبشر: عدد 98 بتاريخ 1 أكتوبر 1851 ص 3.

²² Barbier J : *Itinéraire Historique Et Descriptif De L'Algérie*, Librairie De L. Hachette, Paris, 1855, P334.

²³ مباشرة بعد حادثة بوغار و وصول الملازم كاروس للمدية و ابلاغ مسؤوليه بما حدث، استنفرت جميع الوحدات العسكرية و أعطيت الأوامر بضرورة القضاء على هذا التمرد في مهده أنظر: تقرير الجنرال لادميرول قائد مقاطعة المدية حول ملاحقة الأرباع بعد إعلان تمردهم. المصدر: A.O.M 2 H 10.

²⁴ في رسالة من الجنرال لادميرول إلى أحمد بن سالم شيخ الأغواط يحاول قائد مقاطعة المدية أن يطبق سياسة فرق تسد بين أبناء المدينة في محاولة لضرب ثورة ابن ناصر بن شهرة في مهدها. المصدر: A.O.M, 2H 10.

²⁵ Louis Rinn: Op. Cit. pp. 276.277

²⁶ رسالة من ابن ناصر بن شهرة إلى سي الشريف بالأحرش آغا أولاد نايل بدون تاريخ و قد تكون كتبت في شهر أكتوبر 1851 و الدليل على ذلك أن سي الشريف بالأحرش حولها بتاريخ 10 نوفمبر 1851 إلى قائد شعبة المدية، المصدر: A.O.M, 2 H10

²⁷ Mangin : *Note Sur L'Histoire de Laghouat*, Adolphe Jourdan, Libraire Editeur Alger, 1895, P40.

²⁸ عقلة المقاديم: منطقة تقع بين بريان و الأغواط .

²⁹ المبشر: عدد 104 بتاريخ 1 جانفي 1852.

³⁰ Lehuraux: *Les Auxiliaires De L'Armée (Goum Et Makhzens Algériens) L'Armée D'Afrique* N° 54, 6ème Année 1929, P 123.

³¹ Charles Féraud : Op, Cit, P 491

³² الرسالة مؤرخة بتاريخ 6 جمادي الثانية 1268 الموافق لشهر مارس 1852 أنظر: أحمد صديقي الدجاني: مرجع سابق ص 295.

³³ للاطلاع على هذه الرسائل أنظر: . 114 ; 113 ; 112 Pp Mangin : Op, Cit,

³⁴ Mangin : Op, Cit, P 41.

³⁵ Barbier J : Op, Cit, P 357.

³⁶ الجنرال راندون Jacques-Louis-César-Alexander, Comte Randon : من مواليد 25 مارس 1795 بقرونوبل Grenoble ، تقلد عدة مناصب سياسية و عسكرية منها : عضو مجلس الشيوخ الفرنسي، و وزير، مارشال

سنة 1841، و حاكم عام للجزائر بين سنتي 1851 - 1858، تحصل على وسام الشرف في 24 ديسمبر 1853، توفي بجنيف في 16 جانفي 1871. أنظر:

Narcisse Faucon : **Le Livre D'Or De L'Algérie**, T1, Challamel et Cie éditeurs, Paris, 1889, PP 507,508

³⁷ الجنرال لادميرول : **Louis René Paul de Ladmirault** من عائلة قديمة تنتمي إلى طبقة نبلاء أورليانس، ولد في 17 فيفري 1808 بمونت موريوا، تدرج في الرتب العسكرية من ملازم سنة 1832 إلى نقيب سنة 1837، أين شارك في الحملة على قسنطينة، قائد كتبية سنة 1840، ثم قائد مقاطعة شرشال، قاد حملة على بني مناصر سنة 1842 أدت إلى ترفيته إلى رتبة عقيد سنة 1844، قائد مقاطعة المدية منذ سنة 1848. أنظر:

Maguy Gallet-Villechange : **Le général Paul de Ladmirault: un enfant du Poitou sous les aigles impériales**, Vitae, Parçay-sur-Vienne, France, 2008, Pp, 11, 13.

³⁸ أنظر تقرير حملة الجنرال لادميرول قرب وادي مزي بالأغواط بتاريخ 3 مارس 1852. المصدر: A.O.M 2H 6-8.

³⁹ Journal des marches de la colonne expéditionnaire du Général Ladmirault (Fev-Mai 1852). A.M.G, 2H14

⁴⁰ المبشر: عدد 113 بتاريخ 15 افريل 1852.

⁴¹ ماري مونج **Marey-Monge (Guillaume-Stanislas)**: جنرال فرنسي، عضو مجلس الشيوخ، ولد في 17 مارس 1796 في نوي، دخل سنة 1814 المدرسة متعددة التقنيات، كما انظم إلى المدرسة التطبيقية والتي تخرج منها الأول على دفعته، اختار سلاح المدفعية، اصبح ملازما سنة 1824 و نقيبا سنة 1828، شارك في الحملة الفرنسية على الجزائر، شارك في العديد من الحملات العسكرية في الجزائر، رقي الى رتبة ماريشال سنة 1843، تحصل على وسام الشرف سنة 1854، و وسام الصليب سنة 1859، توفي سنة 1863. انظر:

Narcisse Faucon : Op, Cit, P 414.

⁴² يمكن الاطلاع على بعض تفاصيل محاولة التفاوض الفاشلة بين الجنرال لادميرول وابن ناصر بن شهرة من خلال التقرير المؤرخ في 15 مارس 1852، المصدر : A.O.M 2H 6-8.

⁴³ Randon: **Mémoires du Maréchal Randon**, typographie Lahurb, Tome Premier, Paris 1875 p 77.

⁴⁴ سي حمزة : هو سي حمزة بن سيدي بوبكر من قبيلة أولاد سيدي الشيخ، ولد في أواخر 1818 في قرية لبيض سيدي الشيخ، نشأ في زاوية أجداده، تعلم القرآن واللغة العربية، و شب على ركوب الخيل والتدرب على السلاح استطاع أن يكسب ود الفرنسيين وثقتهم فعينه خليفة على مناطق واسعة من الصحراء امتدت من البيض إلى

ورقاة، و قد لعب دورا كبيرا في تقويض مقاومة الشريف محمد بن عبد الله و ابن ناصر بن شهرة، و في سنة 1860 نشب خلاف بينه و بين السلطات الفرنسية، فتم نقله إلى العاصمة حتى توفي فيها سنة 1861، خلفه ابنه أوبكر الذي تمكن من القاء القبض على الشريف محمد بن عبد الله. أنظر :

Trumelet C : Les Français... Op, Cit, Pp 80, 81

⁴⁵ الرائد دوليني (Deligny (Édouard-Jean-Étienne) :ولد في 12 ديسمبر 1815، تخرج من الكلية الحربية بسان سير سنة 1835، شارك في الكثير من الحملات في الغرب الجزائري، كما شارك في معركة ايسلي 1844، نقيب سنة 1844، ثم عقيد سنة 1852، ثم رقي إلى رتبة جنرال سنة 1855 بعد الأعمال التي قام بها في منطقة جرجرة. أنظر: Narcisse Faucon : Op, Cit, P 202

⁴⁶ Mangin : Op, Cit, P 42.

⁴⁷ قصر الهامية: قصر قديم يقع غرب الأغواط و يبعد عنها حوالي 80 كلم.

⁴⁸ Mangin : Op, Cit, P 42.

⁴⁹ تاجرونة: قصر قديم يقع غرب الأغواط و يبعد عنها حوالي 70 كلم .

⁵⁰ Mangin : Op, Cit, P 42.

⁵¹ Mangin : Op, Cit, P, P43

⁵² الرسائل الثلاث مؤرخة كلها في النصف الثاني من شهر ربيع الثاني سنة 1268 هـ الموافق ل نهاية شهر جانفي 1852 أنظر:

Mangin : Op, Cit, P 112.

⁵³ الجنرال بيليسي (Amable Jean-Jacques), duc de Malakoff) : ولد بتاريخ 6 نوفمبر 1794، تخرج من المدرسة الحربية بسان سير سنة 1815، ملازم سنة 1820، ثم نقيب سنة 1828، شارك في الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830 ثم عاد إلى فرنسا حتى سنة 1839، عاد إلى الجزائر بعدما رقي إلى رتبة عقيد، أصيب مرتين أثناء حملاته ضد المقاومة الشعبية، قائد مقاطعة مستغانم ثم وهران، قاد الكثير من الحملات، و صاحب أكبر المجازر التي أنجزها ضد قبائل الظهرة الشهيرة سنة 1845 ثم ضد الأغواط سنة 1852. أنظر:

Narcisse Faucon : Op, Cit, P 486

⁵⁴ Mangin : Op, Cit, P 43.

⁵⁵ أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق، ص 379.

⁵⁶ يعود السبب في اختيار هذا الملازم كاروس لهذه المهمة لأنه يهودي و ادعى أنه صديق ابن ناصر ابن شهرة و يعرف كيف يؤثر في نفسية العرب، لكن محاولته هذه باءت بالفشل.

⁵⁷ حول سبب انتفاضة ابن ناصر ابن شهرة هناك عدة مصادر تختلف عن بعضها فثلا:

ادعى لويس رين أن ابن ناصر ابن شهرة لما رفض أن يطيع صهره الخليفة أحمد بن سالم ورفض الفرنسيون أن يعينوه أغا على الأرباع عام 1846 خلفا لأبيه غضب وتمرّد وحمل لواء الثورة منذ سنة 1851 و لذلك اعتقلوه ووضعوه و عدد من زعماء الأرباع في الإقامة الجبرية قرب بوغار أنظر :

louis Rinn: Op. Cit. pp 663. 664

أما شارل فيرو فيذكر أن ابن ناصر ابن شهرة يخفي حقا قديما لابن سالم بسبب أن هذا الأخير قتل أباه (ابن شهرة أب ابن ناصر)، و لما أصبح ابن ناصر خليفة على الأغواط سنة 1846 نشب الخلاف بينهما، فقرر ابن ناصر التخلي عن منصبه و تزعم الثورة سنة 1851 أنظر : Charles Féraud: Op. Cit. pp. 133.134
و من خلال استعراض هذه الروايات يتبين لنا عدم مصداقيتها من خلال التناقض الموجود بها فلطالما عودتنا المدرسة الفرنسية على خلق الأكاذيب و تلفيقها من أجل نفي صفة المقاومة عن الجزائريين .
58 - يحي بوعزيز: المرجع السابق ص 152

59 louis Rinn: Op. Cit. pp. 276.277

60 Journal des marches de la colonne expéditionnaire du Général Ladmirault (Fev-
Mai 1852) A.M.G.2H14

61 Maréchal Randon: Op. Cit. p 77.

62 Ibid, P 79.

63 نقوسة و تماسين واحات تقع إلى الشمال من ورقلة على ضفاف وادي ريغ.

64 الشعانية قبيلة كبرى تسكن نواحي متليلي جنوب غرداية.

65 سعيد عتبة قبيلة كبرى من قبائل ورقلة.

66 تعتبر هذه المعركة أول معركة حقيقية قادها ابن ناصر ابن شهرة ضد القوات الفرنسية رفقة محمد ابن عبد الله.

67 عادة ما تكتفي المصادر الفرنسية بذكر الخسائر البشرية في صفوف المقاومة و تتحاشى ذكر الخسائر الفرنسية . أنظر:

Randon: Op. Cit. p.80

68 أحمد بوزيد قصيبة: المرجع السابق ص 58

69 قصر الحيران : مدينة تبعد أربعين كم إلى جنوب الأغواط اتخذها ابن ناصر ابن شهرة أول مركز قيادة متقدم

بالنسبة للمناطق الجنوبية وقاعدة خلفية لمدينة الأغواط.

70 أحمد بوزيد قصيبة: المرجع السابق ص 58

71 تلبساني بن يوسف : مرجع سابق ص 225

72 القرارة : واحة تقع إلى الشرق من غرداية و هي النقطة الوسط بينها و بين ورقلة و وادي سوف.

73 Randon: Op. Cit. .p. 108

⁷⁴ Ibid. p. 109

⁷⁵ الثائر سي النعيمي لا نعلم عنه الكثير سوى أنه أخ لابن ناصر ابن شهرة وأحد أبطال انتفاضته و قد لازمه كثيرا، و هو الذي أرسله ابن ناصر يحمل رسالة إلى باي تونس محمد باشا أنظر : يحي بوعزيز: نفس الرجوع السابق ص 154

⁷⁶ عمور: هم سكان نواحي آفلو، و الأحرار: هم سكان نواحي تيارت.

⁷⁷ الأغواط أكسل : هم سكان مدينة البيض.

⁷⁸ Randon : Op. Cit. p.110

⁷⁹ نلاحظ هنا دراية ابن ناصر ابن شهرة بالقواعد الاستراتيجية للحرب فهو يدرك تماما أن دخول الحرب ضد فرنسا دون وصول قوافل المؤونة القادمة من الشمال يمكن أن يعرض المدينة للخطر خاصة إذا ضربت القوات الفرنسية حصارا عليها و هذا شيء مهم في فنون القتال .

⁸⁰ ابن أحميدة : عينته القوات الفرنسية قائدا لفرقة الصابحية التي شكلت بالأغواط سنة 1851 و قد قدم خدمات كبيرة للاستعمار أنظر : Du Barail : Op. Cit. p.p.30.31.

⁸¹ تعتبر هذه الحادثة هي المحجة التي اعتمدها فرنسا للسيطرة على المدينة ففي ظل تمرد هذه الأخيرة عازمت فرنسا على القضاء نهائيا على ابن ناصر ابن شهرة و احتلال الأغواط

⁸² Randon : op. Cit. p. 111

⁸³ Randon : op. cit. p.p.111.112

⁸⁴ كانت هذه الحملة محاولة لاحتلال المدينة لكن المقاومين ابن ناصر ابن شهرة و محمد ابن عبد الله تصديا له قبل وصوله لها. أنظر : Ibid. p. 112.

⁸⁵ Du Barail : op. Cit. pp. 32.33

⁸⁶ قصر العسافية : يقع إلى الشرق من مدينة الأغواط و يبعد عنها حوالي 14 كم. يعرف اليوم بالعسافية

⁸⁷ يذكر "الجنرال راندون " أن قوات ابن ناصر قد فقدت مئات الرجال بينما ذكر أن القوات الفرنسية. شهدت قتلى و جرحى دون ذكر الأرقام لكن من المؤكد أن انسحاب القوات الفرنسية إلى الخلف دليل خسارتها للمعركة . أنظر :

Randon: op. Cit. p.113

⁸⁸ هذه المعاهدة موقعة بتاريخ 29 ماي 1853 و هي عبارة عن نصب حماية تضمن للطرفين واجبات و حقوق معينة دون اللجوء إلى الحرب و تنص على دفع أهل ميزاب ضريبة سنوية للفرنسيين تقدر ب 45 ألف فرنك مقابل عدم التدخل في الشؤون الداخلية لهم و استمرار تجارتهم مع المغرب وتونس و من بين شروط الاتفاق أن

تحمي فرنسا أهل ميزاب في المدن و التل على أن يتعهدوا بعدم فتح أبوابهم لأعداء فرنسا .، و كان هدف فرنسا من توقيع هذه الاتفاقية هو توحيد بني ميزاب من تأييد الثورة في الجنوب للمزيد من المعلومات أنظر :

.Koyne : **Le Mzab**, Adolphe Jourdan librairie éditeur, Alger, 1879 , P 200

⁸⁹ Mangin : op. Cit. p.172

⁹⁰ Du Barail : op. Cit. p. 47

⁹¹ Trumelet: op. Cit. .p.79

⁹² الشيء الملفت للانتباه أن فرنسا عند احتلالها لمدينة الأغواط جهزت قوات كبيرة لذلك و هذا لعلها بحصانة المدينة من جهة و عدم استسلام سكانها بسهولة و لوجود قيادة بها تعلم جيدا فنون القتال، و هي بذلك احتلت جزائر أخرى بحسب قول أحد القادة الفرنسيين .

⁹³ L. Le Saint , E. Ardant : Fastes de L'Algérie Ancienne et Moderne, Limoge, 1873 P113 .

⁹⁴ لتفاصيل أكثر حول سقوط المدينة أنظر في ذلك الكثير من الدراسات منها :

Randon: op. Cit. p. 114 voir aussi Fromentin : op. Cit. p. 85; voir aussi Du Barail : op. Cit. p. 26

⁹⁵ L. Le Saint , E. Ardant : Op. Cit. P114.

⁹⁶ يطلق سكان المدينة من ذلك الوقت على هذه السنة 1852 التي احتلت فيها المدينة " بعام الخلية "، أي أن المدينة قد خلت من كل ما فيها جراء جرائم الاستعمار.

⁹⁷ Ch. A Julien : Histoire de l'Algérie contemporaine. (Paris - 1964), PP390.393

⁹⁸ Du Barail : op. Cit. p.51

⁹⁹ Journal des marches de la colonne expéditionnaire du sud, G. Péliissier (siège et prise de Laghouat) A.M.G décembre 1852 ; 2H 14 . Voir aussi Randon : op. Cit. p. 114

¹⁰⁰ النقيب دوراي : و هو الذي قتل قاضي الأغواط أثناء هذه الحملة ، ثم رقي فيما بعد إلى رتبة جنرال . كما رقي الجنرال بيليسي قائد الحملة إلى رتبة مار يشال و ذلك كله بفضل ما قاموا به في الأغواط.

¹⁰¹ Eugène Fromentin: **Un été dans le Sahara**, 3^{ème} édition, Librairie Plon, Paris, 1877. p.87